

ركعتي الضحى وصيام ثلاثة أيام

إننا نزرع في الدنيا لنحصد في الآخرة فمهما كان العمل شاقاً وإن كانت الغاية صعبة فإنها تهون في مرضاة المولى ﷺ، لم يُبَيِّنَ الدين على الصدق والطهارة والأمانة فقط بل يبني على العمل من صيام وصلاة وقرب من الله ﷻ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي محمد ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهرٍ وركعتي الضحى، وأن أوترَ قبلَ أن أنام^(١).

رواه البخاري وابن خزيمة ولفظه وقال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لست بتاركهن: أن لا أنام إلا على وترٍ وأن لا أدع ركعتي الضحى فإنها صلاة الأوابين - أي التوابين - وصيام ثلاثة أيام من كل شهر.

شرح الحديث:

سيدنا أبو هريرة الذي روى عن رسول الله ﷺ ألف وستمئة حديث، يروي لنا وصية أوصاه إياه سيد المرسلين قائلًا: أوصاني خليلي - وهذه الوصية فيها خير وسعادة - بصيام ثلاثة أيام من كل شهر: وما أدراك ما الصيام وما فيه من طهارة البدن من الأمراض وطرد السموم، والأروع فيه طهارة الروح وراقيها. وركعتي الضحى: تتقبل يومك بركيعات الله تعالى طالباً الرزق الحلال واليوم المبارك، وأن أوترَ قبلَ أن أنام: وأن أختم بركيعات راجياً المولى قبول من الأعمال الصالحة هذا اليوم والمغفرة للمسيء فيه، فهو أرحم الراحمين.

(١) رواه البخاري ومسلم.

الدليل القرآني

الصيام يطهر الروح وينور القلوب، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة، الآية: ١٨٤] الصيام يقربك من الله تعالى ويزكي النفس لقوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم، الآية: ٢٦] .

من أين الخلة؟

قيل لإبراهيم عليه السلام: بأي شيء وجدت الخلة؟ فقال: بانقطاعي إلى ربي واختياري إياه على ما سواه، وبأني ما أكلت قط إلا مع الضيف.

أقوال ابن مسعود في الصيام

قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من صام يوماً من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإذا انسلخ عنه الشهر وهو حي لم يكتب عليه خطيئة - أي لم يوقعه في كبيرة من الكبائر - حتى الحول، ومن عطش نفسه لله في يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة.

قصة أم شريك الدوسية رضي الله عنها

روى ابن سعد بسنده عن يحيى بن سعيد قال: هاجرت أم شريك الدوسية فصحبت يهودياً في الطريق ومعه زوجته فأمست أم شريك صائمة، فقال اليهودي لامراته: إن سقيتها لأفعلن بك كذا - يعني أنه نهاها عن سقياها وأوعدها وهددها - فباتت أم شريك وهي عطشى من الصوم لم تجد ماء، حتى إذا كان آخر الليل إذا علا صدرها دلو ماء موضوع فشربت أم شريك ثم أيقظتهم للدلج - أي السير آخر الليل - فقال اليهودي: إني أسمع صوت امرأة قد شربت - أي كان صوتها أول الليل ضعيفاً من العطش والآن صوتها قوي لشبعها - فهل أنت سقيتها؟

فقالت امرأتها: لا والله ما سقيتها ولكن الله تعالى سقاها^(١).

(١) التقرب من الله.

عطاء الصائم في القبر

لما دفن عبد الله بن غالب كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك فرؤي في المنام فسئل عن الرائحة، فقال: تلك رائحة التلاوة والظماً.

روي أن الصائمين توضع لهم مائدة تحت العرش فيأكلون والناس في الحساب فيقول الناس: ما بال هؤلاء يأكلون ونحن نحاسب.

فيقال: كانوا يصومون وأنتم تفطرون^(١).

الصيام يوم القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا كان يوم القيامة بينما أنا واقف عند الميزان فيؤتى بشاب من أمي والملائكة يضربونه وجهاً ودبراً فيتعلق بي ويقول يا محمد المستغاث، المستغاث بك. فأقول: يا ملائكة ربي ما ذنبه؟

فيقولون: أدرك رمضان فعصى الله فيه ولم يتب فأخذه الله فجأة فأقول: هل قرأت القرآن؟

فيقول: تعلمته ونسيته، فأقول: بئس الشاب فلا هو يتركني ولا الملائكة يتركونه، ثم أشفع له من الله تعالى فأقول: إلهي شاب من أمي، فيقول تعالى: إن له خصماً قوياً يا أحمد، فأقول: من خصمه يا رب حتى أرضيه؟

فيقول تعالى: خصمه رمضان، فأقول: أنا بريء ممن خصمه شهر رمضان، فيقول الله تعالى: وأنا بريء ممن أنت بريء منه فينطلق إلى النار^(٢).

إن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة».

(١) لطائف المعارف.

(٢) بستان الواعظين، لابن الجوزي.

وعندما نسي القرآن وعصى الله في رمضان، فذهب شفاعة القرآن والصيام، والنبي ﷺ لا يشفع لمن كان خصمه القرآن والصيام.

أبو الدرداء أحب في الدنيا ثلاث

قال سيدنا أبو الدرداء ﷺ لولا ثلاث ما باليت أن أموت:

- ١ - تعفير وجهي في التراب لله ساجداً.
- ٢ - صوم يوم بعيد ما بين طرفيه أتلوى فيه من الجوع والظماً.
- ٣ - جلوس مع قوم يتخيرون أطيب الكلام كما يتخيرون أطيب الثمر^(١).

فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر

عن قرة بن إياس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره». روي عن ميمونة بنت سعد ﷺ أنها قالت: «يا رسول الله! أفتنا عن الصوم؟» فقال: «من كل شهر ثلاثة أيام من استطاع أن يصومهن فإن كل يوم يكفرُ عشر سيئات وينقي من الإثم كما ينقي الماء الثوب».

السيدة نفيسة ماتت صائمة

قالت زينب بنت أخيها ﷺ: «تألمت عمتي في أول يوم من رجب وأرسلت خلف زوجها إسحق المؤمن وهو في المدينة، ولا زالت كذلك إلى أول جمعة من شهر رمضان فزاد بها الألم وهي صائمة، فدخل عليها الأطباء، وأشاروا عليها بالإفطار لحفظ القوة، فقالت: واعجباه لي ثلاثون سنة أسأل الله ﷻ أن يتوفاني وأنا صائمة فأفطر! فاحتضرت واستفتحت بقراءة سورة الأنعام فما زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام، الآية: ٥٤] ففاضت روحها الكريمة.

(١) تنبيه الغافلين.

كرامات السيدة نفيسة رضي الله عنها

حكى بعض المشايخ أنه كان في حال حياتها رضي الله عنها رجل ظالم، فطلب إنساناً ليعذبه ظلماً، فمر ذلك الإنسان بالسيدة نفيسة رضي الله عنها واستجار بها، فقالت له بعد أن دعت له بالخلاص منه: امض حجب الله عنك أبصار الظالمين، فمضى ذلك الرجل مع أعوان الأمير الظالم إلى أن وقفوا بين يديه فقال الأمير لأعوانه: أين هو؟

قالوا: إنه واقف بين يديك.

فقال الأمير: والله ما أراه.

فقالوا: إنه مر بالسيدة نفيسة وسألها الدعاء وقالت: حجب الله عنك أبصار الظالمين.

قال: وبلغ من ظلمي هذا كله أن يحجب الله عني المظلوم بالدعاء، يا رب إني تائب وصحت توبته، ونظر فإذا الرجل واقف بين يديه، ثم إنه جمع ماله وتصدق به على الفقراء والمساكين، وأرسل إلى السيدة نفيسة بمائة ألف درهم، وقال: هذه شكر الله تعالى من عبد تاب لله تعالى، فأخذت الدراهم وفرقتها، فقالت لها جاريتها: يا سيدتي لو تركت لنا شيئاً من هذه الدراهم نشترى به شيئاً نفطر عليه؟

فقالت لها: خذي غزل يدي ببيعته بشيء نفطر عليه، باعت الغزل ولم تمس ذلك المال لأن آل البيت حرم عليهم مال الصدقة رفعة وعزاً لهم.

السيدة نفيسة مع الشافعي

قيل: إن الشافعي رضي الله عنه إذا مرض أرسل إليها رجلاً من أصحابه كالربيع يقول لها: إن ابن عمك الشافعي مريض ويسألك الدعاء فتدعو له، فلا يرجع القاصد إلا وقد عوفي من مرضه، فلما مرض مرضه الذي مات فيه أرسل إليها على عادته، فقالت للقاصد: متّع الله بالنظر إلى وجهه الكريم، فأخبره القاصد بما قالت السيدة نفيسة فعلم الشافعي أنه ميت،

فأوصى وأوصى أن تصلي عليه مأمومة وكان الذي صلى عليه إماماً أبو يعقوب البويطي أحد أصحابه .

قال بعض الصالحين ممن حضر جنازة الشافعي رحمته الله : سمعت بعد انقضاء الصلاة أن الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعي، وغفر للشافعي بصلاة السيدة نفيسة عليه رضي الله عنهما ونفعنا ببركتهما .

أحاديث في فضل صلاة الضحى

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من صلى الضحى اثنتي عشر ركعة بنى الله له قصرًا في الجنة من ذهب»^(١) .

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله عز وجل يقول : يا ابن آدم اكفني أول النهار بأربع ركعات أكفك بهن آخر يومك»^(٢) .

مقام صلاة الضحى عند الله عز وجل

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعاً كتب من العابدين ومن صلى ستاً كُفي ذلك اليوم ومن صلى ثمانية كتبه الله من القانتين ومن صلى اثنتي عشر ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة، وما من يوم ولا ليلة إلا الله يُمُنُّ على عباده وصدقة، وما من الله على أحدٍ من عباده أفضل من أن يلهمه ذكره»^(٣) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن في الجنة باباً يقال له الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا يديمون صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه برحمة الله»^(٤) .

(١) ابن ماجه .

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه الطبراني .

من وصايا حب الوتر

إن الإنسان إذا نام قبض الله روحه فإن شاء ردها إليه وإن شاء أمسكها إن أجله قد انتهى لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر، الآية: ٤٢] .

وقد أمرك الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ فقال: «أوتروا أهل القرآن» وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من بات طاهراً بات في شِعاره ملك - أي في ثوبه - فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً»^(١) .

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «من أوى إلى فراشه طاهراً يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من ليل يسأل الله خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه»^(٢) .

بشرى نبوية

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كُتِبَ له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه»^(٣) .

علوم توصل صاحبها للرفي

قيل لحاتم الأصم رضي الله عنه: على ماذا بنيت عملك؟ قال: أربع:

١ - علمت أن لي رزقاً لا يجاوزني إلى غيري، كما لا يجاوز رزق أحد إلي فوثقت به .

(١) رواه ابن حبان .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه النسائي .

- ٢ - علمت أنّ عليّ فرضاً لا يؤديه غيري فأنا مشغول به .
 ٣ - علمت أنّ ربي يراني كل وقت فأستحي منه .
 ٤ - علمت أنّ لي أجلاً يبادرني فأنا أبادره^(١) .

مناجاة سيدنا موسى لربه ﷺ

جاء في حديث رواه الطبراني في مناجاة موسى ﷺ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما وكان فيما ناجاه ربّه أن قال: يا موسى لم يتصنع إليّ المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرب إليّ المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد إليّ المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي .

قال موسى ﷺ: يا رب البرية كلها ويا مالك يوم الدين ويا ذا الجلال والإكرام ماذا أعددت لهم وماذا أجزيتهم؟

قال سبحانه: أما الزّهاد في الدنيا فإنني أبحتهم جنّتي يتبوؤن حيث شاءوا، وأما الورعون عما حرمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته وفتّشته إلا الورعين فإنني أستحييهم - أي كرمأ مني - وأجلّهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب، وأما البكّاءون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه .

ثابت بن أسلم البناني

* أقوال ثابت البناني:

قال ثابت: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة .

وقال: ما دعا الله المؤمن بدعوة إلا وكلّ بحاجته جبرائيل ﷺ ، فيقول: لا تعجل بإجابته فإنني أحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن، وإن الفاجر يدعو الله ﷻ فيوكلّ جبرائيل بحاجته فيقول: يا جبرائيل عجل إجابة دعوته فإنني لا أحب أن أسمع صوت عبدي الفاجر .

(١) أحاسن المحاسن .

* حالة ذكره مع الله .

وقال سيدنا ثابت لإخوانه: إني لأعلم متى يذكرني ربي .

قال: ففزعوا من ذلك . وقالوا: تعلم حين يذكرك ربك؟ قال: نعم .
قالوا: متى؟

قال: إذا ذكرته ذكرني .

وقال: وإني لأعلم حين يستجيب لي . قالوا: متى يستجيب لك ربك؟

قال: إذا وجَلَ قلبي واقشعراً جلدي وفاضت عيني وفتح لي من الدعاء
فثم، أي أعلم أنه قد استجيب لي .

صلاته جعلته من أهل القرب

كان ثابت البناني يصلي في كل ليلة ثلاثمائة ركعة فإذا أصبح ضمُرت
قدماه - أي ورمت - فيأخذهما بيده فيعصرهما ثم يقول: «مضى العابدون
وقطع بي» وكان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر .

وقال له أنس: ما أشبه عينيك بعيني رسول الله ﷺ، فما زال يبكي
حتى عمشت عيناه واشتكى ثابت عينه، قال له الطيب: اضمن لي خصلة
تبرأ عينيك، قال: وما هي؟ قال: لا تبك .

قال ثابت: لا خير في عينين لا تبكيان .

وكان يقول: ما شيء أحده في قلبي ألذّ عندي من قيام الليل، قال
ابنه: ذهبت ألقن أبي وهو في الاحتضار - أي سكرات الموت - يا أبت قل
لا إله إلا الله، فقال: يا بني خلّ - أي اتركني - عني فإني في وردي
السادس أو السابع .

ثابت في قبره

قال ابن جرير: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني لحده
ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه القبر سقط عليه لبنة، فإذا أنا به يُصلي

في قبره فقلت للذي معي: ألا ترى؟ فقال: اسكت.

فلما فرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عملُ ثابت؟

قالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها.

قالت: كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان الحر قال: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطيها.

وقال إبراهيم لابن الصّمة: حدثني الذين كانوا يمرون بالأسحار قالوا: كنا إذا مررنا بجنّات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن^(١).

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعواً:

١ - نتعلم ونأخذ دروساً عظيمة من صحابة النبي ﷺ، فما يوصيهم به نبيهم الكريم يسمعونه ويطبّقونه في الحال، ويحبونه المحبة الخالصة حتى أن سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه ينسب محبته للنبي الكريم ﷺ بالخلة وهي أعلى مرتبة المحبة.

٢ - ونأخذ بوصية النبي ﷺ أن العبادة ليست واحدة وإنما هي متنوعة على تنوعها ولذتها، وإن دخلت إلى روضة المصلين فأنت في مدارج العابدين، وتنوع إلى نوع آخر تدخل في مسلك الصائمين لترتقي روحاً وبدناً ثم لتودع يومك بشكر للمولى ﷻ الذي قبلك وجعلك من المؤمنين.

٣ - وإذا تمعنا في حكمة الصيام والوتر قبل النوم نجد أن الإنسان إذا بات على طهارة تسجد روحه قريبة من العرش على قدر صفائها، ولا يجتمع هذا الصفاء إلا بالصلاة والطهارة والصوم.

(١) أحسن المحاسن.